

## احتفال ذكرى رحيل الرئيس اللواء فؤاد شهاب

### برعاية فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان

بيروت / قصر الاونيسكو

الثلاثاء في 24 نيسان 2012

### كلمة الاستاذ جان عبيد

ممثل فخامة الرئيس  
أيها السادة

شاء لي الله وقدري أن أكون من بين قلة معدودة إلتقت الرئيس الراحل فؤاد شهاب صباح يوم وفاته، وقبل أن يُسلم الروح بساعات قليلة.

وأذكر: في صبيحة الخامس والعشرين من نيسان -73- أنه قال لي أنه سيستقبل من بعدي الشهابي المستنير والصديق الوفي الأستاذ فؤاد بطرس.

وأذكر من ذلك الصباح أنه بدا لي كنيياً مبتئساً ومتشائماً، بخاصة وأن الأزمة السياسية الكبرى شرعت تُفلى من عقالها بعد الغارة الاسرائيلية الليلية على بيروت وإغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة الكبار في لبنان: كمال ناصر وأبو يوسف النجار وكمال عدوان، ومن ثم سقوط حكومة الرئيس الراحل صائب سلام إثر ذلك كله.

قال لي رحمه الله: " إن لبنان مقبل على عواصف سعت جاهداً أن أصونه منها في أيامي.

وقد إجتهدت أن أوحد إرادة اللبنانيين حول دولة العدالة والمؤسسات والقرار الواحد، فحاولت أن أقيم وأحترم حكم الدستور والميثاق، وسعت الى أن أضيء بالانماء والإنصاف كامل لبنان، ولا سيما المناطق المعتممة المحرومة في أطراف البلاد في الشمال والجنوب والبقاع، لأن العدل يقضي بذلك ولأن بقاء هذه المناطق تحت العتمة والحرمان، وبقاء المدن الكبرى تحت الأنوار والإعمار سيحمل أهل هذه الأجزاء الواسعة من لبنان في اتجاه المدن والعاصمة بالذات، ولو أدى ذلك الى إطفاء أشعاعها ونورها وتهديد إنمائها وأمنها.

كان ذلك وداعاً أكثر منه لقاءً.

وكان كلامه رؤية ونبوءة أكثر منه رأياً وشكوى.

وكان ما كان مما آل بنا الى ما نحن عليه وفيه الآن.

لقد تسلّم الرئيس فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية ولبنان منقسم متصارع حول الخيارات الملتهبة في الداخل والخارج من التجديد الى الوحدة الى جمال عبد الناصر الى " مشروع أيزنهاور لملء الفراغ في الشرق الأوسط".

وسلم الرئيس شهاب لبنان موّحداً أمناً مستقراً الى الرئيس الراحل شارل حلو.

وعلى ضوء النتائج والأعمال تُقرأ النوايا والأقوال .

كان جمال عبد الناصر في عزّ نفوذه وحضوره في أعقاب سقوط عرش العراق واليمن وإضطراب عرش الأردن، وبين ذلك كله قيام دولة الوحدة السورية المصرية، ثم انهيارها.

في ذلك الميزان للقوى إقتنع عبد الناصر مع فؤاد شهاب ومنه، بمنطق الثقة والتوازن وأرسى مؤتمر القمة بينهما في الخيمة على الحدود المشتركة لأول وآخر مرة، إعتقاد سياسة التعاون الأخوي بغير حدود، واحترام الدولة والكرامة والحدود.

في ذلك الزمن، وبعده، وبالقدر نفسه، رفض فؤاد شهاب سياسة الولاء الأعمى لقيادة عبد الناصر وسورية وفلسطين، وسياسة العداء الأعمى لعبد الناصر والسوريين والفلسطينيين.

وحاول باستمرار أن لا يدعو نفسه الى الصراعات والحرائق بينهم بعد فك الوحدة، أو أن يدعو الى جلب هذه الصراعات والحرائق الى عندنا.

فخامة الرئيس

أيها الكرام

ما كنت حزيباً في كل حياتي:

لا دستورياً ولا شهابياً ولا سوى ذلك من قبل ومن بعد، رغم جميع صداقاتي ومعارفي على إختلافهم وتناقضهم.

وإختلفت في الاعلام والسياسة أحياناً مع ما اعتبرته إبتعاداً من بعض الشهابيين عن قضية فؤاد شهاب وقدوته.

وليس هنا منبر التعداد لبعض وجوه الاختلاف مع بعض وجوه النهج الشهابي.

ولكنني أفرُّ من هذا الموقع أنّ الشهابية كانت أرقى وأفضل وأحدث تجربة للحكم عرفها لبنان، وأنّ فؤاد شهاب، ومن بعده الياق سركيس، من أنبل وأكرم وأحسن، إن لم يكن أنبل وأكرم وأحسن، من مثلّ وجسدّ وعبر عن هذه التجربة الرائدة الراقية.

لقد ألف فؤاد شهاب في سلوكه بين الدستور والميثاق، وألب من حوله أهم قادة لبنان السياسي تقريباً في الحكومات والمجالس النيابية المنتابعة. من رجال كبار مثل كمال جنبلاط ورشيد كرامي وصائب سلام وعبدالله اليافي وتقي الدين وسامي ورشيد الصلح، وشارل حلو وريمون إده وجان عزيز وسليمان فرنجية ورينه معوض وفؤاد بطرس وصبري حماده وبيار وموريس الجميل وسواهم من كرام الراحلين والباقيين.

جاهد فؤاد شهاب معهم في سبيل لبنان، وجاهد الجهاد الأكبر مع نفسه حتى لا يجعل لبنان في أيامه منطلقاً للفتن، وللأخطاء والخطايا أو مأوى لها.

ما بالغ في الخصومة حتى من أجل ما يعتقد أنه حق لكي لا يآثم، ولا قصر في المواجهة مع ما يعتقد أنه ظلم حتى لا يستسلم أو يُظلم.

ولأن نفسه كُرمت عليه ملكها عن أن تهون أمام شهواته.

ولأنه كان مؤمناً صادقاً إمتنع عن المَظَاهِر والجَدَل والدَّجَل، عملاً بقول السيد المسيح للمرائي: " يا بني أعطني قلبك".

فضَّل المؤمنين في جميع الأديان على المتعصِّبين في جميع الطوائف والمذاهب.

كان التقى عنده رئيس الأخلاق، والخوف من الله رأس الحكمة.

هو عاقل وعادل ومنصف.

وكما قال أمير الشعر العربي في جميع العصور:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رَحِم.

فإذا كانت قلة الإنصاف تقطع بين الرجال من ذوي الرَحِم الواحد فكيف بقلة الإنصاف بين الأهل في الوطن الواحد والأمة الواسعة.

لذلك سعى الى أن يولي في همه أصحاب الحاجات على أصحاب القدرات، ووفق غالباً بينهم على قاعدة أولوية المحتاج على المقدر.

ومن هنا فهم الجباية من غير إنتاج وإعمار على أنها إخراب للنظام وللبلاد أكثر مما هي إنهاض لهما.

وأخذ الناس في ذلك كله بالحزم، ولكن بالرفق أيضاً، لأنه وكما يقول الحديث النبوي الشريف " إن الله رفيق يُحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف بل ما لا يعطي على سواه".

كان قليل الكلام كثير الالتزام، لأنه عندما يتكامل العقل والالتزام ينقص الكلام ويزيد الاحترام.

وكما يقول أمير البلاغة والجهاد الإمام علي:

"من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار".

ما سعى وراء الضوضاء والأضواء، لأنه إعتبر أنّ الضوء يخرج منه هو بدلاً من أن يخرج هو اليه.

ألْبسه الله مهابة الطلعة والطلّة وأكسبه بلاغة العمل والصمت في آن.

حاكم وحكيم وحكم في رئيس.

إختار الرصانة والسكينة على الاستهانة والمهانة وسلم بالقلّة على الذلّة، ورضي بالابتعاد عن الذنوب والمعاصي على الطلب المتكرر للتوبة والغفران.

ولأن الحفاظ على وحدة لبنان بالعدل والصبر والحزم والرفق أفضل وأجمل وأنبى من تقسيمها بالحروب والفتن، أثر الكلفة الأقلّ والمردود الأكثر، وابتعد عن التأزيم والتقسيم.

ومارس في ذلك كله الحلم والأناة والصبر في عهده وبعضها طبع وبعضها نعمه وكلها فضائل من نتاج علو الهمة وعمق الايمان.

بذلك انتصر بسيرته وعدالته على مناوئيه، وردّ بحلمه وصبره على المتجنيين عليه فضاغف المعارضين عليهم وأضعف المعارضين له.

فخامة الرئيس

أيها السادة

لقد رأى فؤاد شهاب في المسيحيين في هذا الشرق العربي جزءاً من ملحه وروحه وصلاحه وغناه.

وأراد المسيحيين، واللبنانيين كلهم لا جزءاً منهم فقط، أشقاء كرماء شركاء أصلاء في السراء والضراء، لا أعداء ولا أذلاء ولا غرباء.

ما عاش ولا إغتنى ولا إعتزّ ولا إعتلى من وراء الفتنة والفرقة بين المسيحيين والمسيحيين، ولا بين المسلمين والمسلمين، ولا بين العرب والعرب.

هو أيضاً صاحب كلمة وصاحب ...

وأهون أن تتزحزح الجبال من مكانها من أن يتزحزح هو عن كلمة أعطها أو صداقة إصطفاها.

وهو كذلك يوم التهبت العقول والقلوب واضطربت الأفكار وزاغت الأبصار وتاهت البصائر ظلّ بارد العقل هادئ الفكر، ثاقب البصر نافذ البصيرة مالك الحكمة ثابت الجنان عميق الايمان.

ما قبل أن يتهافت أو يستسلم أمام الإغراق والإغراء في السلطة والمال.

ويوم حمل اليه النواب في أكثريتهم الساحقة عريضة المطالبة بالتجديد وتعديل الدستور، حمى الدستور والكتاب من نفسه أولاً حتى يسهل ويصحّ عنده حمايته أمام الآخرين ومنهم.

وكان في ذلك كله مثلاً في عفة النفس ومن ينبوعها تنساب عفة الكف والطرف واللسان.

عاش ومات فاضلاً قنوعاً مكتفياً عزيزاً متواضعاً على رفعة قدره، في الطفولة والفتوة والشباب والكهولة والكبر.

أمير في النفس والقلب قبل الإمرة والأمانة في المحتدّ واللقب والحسب والنسب.

فخامة الرئيس

نبتت في عائلته ونشأت في منطقتة، وعرفت القيادة وتعرّفت في الرئاسة الى الكثير من هذه المدرسة الشهابية، وكان فؤاد شهاب لك، كما اعتزرت وأعلنت وبصدق وودّ: المثلّ والمثال.

وأعطى الراحل الكبير لنا جميعاً هذه القدوة، ولل الكثير من القادة والحكام، وحتى فيما بعد لأحد عملاقي استقلال لبنان الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح.

وقد كان في قبول الرئيس بشارة الخوري بتعديل الدستور للتجديد، ما إعتري مسيرته ولوحته ببعض الضعف والشوائب والشحوب وهو المناضل الصلب المثقف المضيء المتجدّر اللماح الألمعي العريق والعميق.

يقول رئيس حكومة فرنسا جورج كليمنصو في مذكراته عن أوائل القرن الماضي:

“L’Europe est décidément à l’envers: en Angleterre il ya de la volonté en France il ya de l’intelligence »

أو بما معناه: "إن أوروبا هي بالتأكيد في وضع مقلوب: في بريطانيا هناك ارادة، في فرنسا هناك ذكاء"

وانتظرت فرنسا حتى جاءها شارل ديغول وكون لها الارادة من قلب المكونات والانقسامات.

وما سعى اليه فؤاد شهاب عبر نضاله الطويل الشاق النبيل هو أن يرفع في لبنان ويصنع للبنان منسوباً أعلى من الارادة الوطنية الواحدة لا منسوباً أعلى من الذكاء الفائض فيه والذي هو نتاج الطبيعة والطباع والتمازج والتراكمات المترامية عبر العصور.

بهذه الارادة الوطنية الواحدة تُحمى الأوطان وتُصان الكرامات ويُحال دون حروب التفرقة والتقسيم في الداخل ومخططات الشرذمة والتقسام من الخارج.

هذه الارادة الوطنية يحققها التواضع والتراحم والتساهل والانصاف مع الأهل في داخل الوطن، لا التغطرس والتشدد مع الأهل ثم التنازل والتهاون مع الخارج سواء كان عدواً أو صديقاً أو شقيقاً.

من لهذه الارادة والقضية والقدوة الآن؟

هذا هو السؤال الكبير في لبنان الآن، بل هذا هو التحدي الأكبر للبنان، بل لكل المحيط العربي.

وفي هذه الشخصية وهذه المسيرة، كثير من العدل والانصاف، ومن الرفعة والوداعة والغنى في النفس والاستغناء عن خارجها.

وفيها المثل والمثال.

رحم الله فؤاد شهاب الوفي التقي الأبّي، الغائب الكبير والحاضر الأكبر بالوفاء والعبر، وبالمثل والمثال.

والسلام

جان عبيد